

R. DEYNESSÉ, *Le patriarcat d'Antioche, depuis la paix de l'Eglise jusqu'à la conquête arabe*, (Coll. « Etudes palestiniennes et orientales ») XXIX-340 pp., Paris, Gabalda, 1945.

دوفريس - بطريركية انطاكية : منذ سلم الكنيسة الى الفتح العربي

من « مجموعة الدراسات الفلسطينية والشرقية »

باريس سنة ١٩٤٥

لم يتوفر بعد العهد البيزنطي الاول ما توفر للعهد الروماني قبله ، من ثبت دقيق مفصل عن ابرشياته ومن تولاها من الاساقفة - اللهم سوى المؤلف الشهير الذي خلفه لوكيان عن « الشرق المسيحي » - الا انه يصعب التدقيق في صحة اللوائح التي اثبتها لوكيان نظراً لان مستنداتها بعيدة وعزيرة . واذا كتاب المونسنيور دوفريس يد هذا الفراغ ففي قسمه الثاني تاريخ المقاطعات الاكليريكية والابرشيات والكنائس مع ثبت عن تولاها ، في ذلك « المربع الكبير » المنبسط من خليج اضايا الى الفرات ، ومن الفرات الى عكا ، ماراً بالساحل الغربي من البحر الميت . ولقد وجد المؤلف القسم الاكبر من اساتيد في المؤلفات اليونانية والسرمانية ، الا انه افاد كثيراً بما اوضحته الحفريات الاثرية بحيث استطاع ان يرسم لوحة لم يسبق اليها بعد عن مدى انتشار الطوائف المسيحية ، الارثوذكسية وغيرها ، وطابعها وتاريخها - ضاماً الى ذلك الفهارس المفصلة والرسوم الجغرافية التي تسهل البحث والتفتيش .

على ان الكتاب ليس مجرد لوائح جديدة وتامة . فان فصوله السبعة الاولى تبسط موجزاً تاريخياً عاماً للبطريركية الانطاكية منذ ان تمت الكنيسة بالسلم حتى توطن الاسلام ، وبالرغم من ان هذه الحقبة من تاريخ الكنيسة كانت بالغة الاضطراب ومن اللبس على المؤلف ان يقودنا بثقة خلال ما اثارته بدع اريوس ونسطوريوس ويمقرب الرهاوي اذ انه قد استحكم الاصول والاسانيد استحكاماً يعز على الكثيرين ، ويرسم لنا فترات السلم التي تمت بها كنيسة انطاكية بين ٣٨٠ و ٤٣٠ اي في زمن اجل ملافتها امثال ديودور الترسوسي ، ويوحنا فم الذهب . واما الفصل السابع فيعرض احوال الشعب عند الغزو العربي معدداً

المراحل التي افسحت له في المجال. وكل هذا كما يهم التاريخ البيزنطي والتاريخ الكنسي في الشرق.

ولمؤلف نظريات جديدة قد احكم استنتاجها كما اتاحتها الدراسات الاثرية والنظرية الحديثة - فالمؤلف يطيل البحث في الفصلين ١٣ و ١٤ في «المقاطعة العربية» ومقاطعة سوريا الشرقية، وكان قد تطرق المؤلف ذاته الى هذا الموضوع في بحثين نشرتهما له مجلة Vivre et Penser، التي صدرت اثنا- الحرب بدل مجلة ابحاث الكتاب المقدس (Revue Biblique). وان الفصول التي خصها بمنطقتي وادي الفرات وما بين النهرين، وتاريخ المسيحية فيها تهم كل شرقي، مثل النظريات العامة التي قدمها تحت عنوان «العرب. الفرس، والعرب الرومانيون، اي بني لحم والفسانة» وجدير ان ننوه برأيه عن الفسانة (ص ٢٧٧) حيث يوضح ان تقدير الحكام الروم للفسانة لم يكن بحيث يكلف الامبراطور جوستيان هؤلاء البدو وحدهم. مهمة صد الفرس عن الحدود الصحراوية.

وجدير كذلك ان ننوه بشكك في تأويل التاريخ المعفور على قبر اسرى القيس - فالمرجح ان هذا التاريخ لا يعود الى الحساب العربي المهود يومذاك

٢٠٠

G.E. GRENEBAUM, *Medieval Islam. A Study in Cultural Orientation.* In-8°, VIII-362 pp., 1 carte, The University of Chicago Press, 1946.

فون كرنباوم - الاسلام في العصور الوسطى - بحث في الاتجاه الثقافي

جامعة شيكاغو سنة ١٩٤٦

هذه مجموعة محاضرات عامة القاها الاستاذ فون كرنباوم في ربيع سنة ١٩٤٥ في جامعة شيكاغو، كاد جل اهتمامه فيها ان يرسم للاسلام في اوجه لوحة واضحة ودقيقة، دون ان يمحصر البحث في التاريخ، ولا في الادب ولا في الاقتصاد، بل يستن المصادر التاريخية والادبية المعروفة ليجلو ما اذا كانت الثقافة العربية يومذاك.

يقابل المؤلف بين الاسلام في العصور الوسطى وبين الغرب والشرق المسيحي وكانوا ثلاث كتل تتقاسم النفوذ في الحوض المتوسط على شكل ثابت يكاد

لا يتهور . مبيئاً كيف كانوا عبارة عن حضارات ثلاث تجهل بعضها بعضاً على كونها جيباً من جوهر واحد ذلك بان كل واحدة مكتفية بما عندها . فالاسلام يزّاف وحدة اقتصادية ويمتد نفسه محور العالم . والامبراطورية البيزنطية تعيش على ميراث القياصرة والارثذكسية ؛ في حين كان الغرب يساوره العجب بايمانه الجديد وبقوته المتصاعدة .

ريضي المؤلف بتفهم الاسلام فيدرسه في اصوله منفرداً بين الحقيقة التاريخية في نطاقها الشرعي الثابت ، وبين ما انتجته تقوى الجمهور .

اما ما كان عليه المجتمع الاسلامي في ذلك الوقت فيقرأى انه النظام الطبقي المهورد في الغرب ، تعيش كل طبقة منكشئة على ذاتها ، وتيسرها ومقرلتها مستمدة من العلم والدين ، اكثر منها بما تؤديه من خدمات . على ان المؤلف يغالي نوعاً في ذلك مطلقاً اهمية فائقة على كتب نظرية مستوحاة من اليونانية .

وفي الفصل الاخير ، وهو اطول ما في الكتاب وابلغه اهمية ، يجادل ان يستخلص المثل الانسانية في ذلك الوسط من خلال الاثار الادبية . واميذ طرابها تفكير متشعب الاصول والاتجاه ، وغني بالالفاظ دون المعاني ، وغيار الشخصية . ولعل المسلم اذاك كان يقدر الراحة والاطمئنان اكثر من فرح التطور والتقدم . ذلك انه يعيش في وسط عالم منظم ، تحددت فيه الحقوق والواجبات . ثم انه امين الى مصيره ما دام لا يخرج على ارادة الله ، واما اذا ارتكب بعض المعصيات ، فشفاة النبي كافية .

ولعل هذه النتيجة التي وصل اليها المؤلف تعبر عن حالة بلغ اليها الاسلام في ذروته ، ولكن ذلك لم يكن شأنه في القرون الاولى من حياته . بقي ان نقول ان هذا الكتاب بقرأ باذة وبتيح لقارئه ان يكون فكرة عامة مصيبة في الاجمال عن عالم يجمله الكثيرون من الغربيين بل الشرقيين ايضاً .